



في ذكرى رحيل الفريق أول محمد فوزي ، عملاق مصر الصامت (1 - 4)

بقلم : رائف محمد الويشي

15 فبراير 2012

سنفتح في تلك الدراسة صفحة مضيئة من تاريخ مصر الحديث من خلال حديثنا عن الفريق أول محمد فوزي ، ذلك الضابط المحترف الذي ولد في 13 مايو 1915 ، وتخرج من الكلية الحربية في عام 1936 من سلاح المدفعية ، وجرح في حرب فلسطين في عام 1948 ، وتولى إدارة الكلية الحربية في عام ، ثم رئاسة الأركان قبل نشوب حرب 1967 بأيام ، ثم قيادة القوات المسلحة في 11 يونيو 1967 ثم وزيرا للحربية مع في عام مع احتفاله بمنصب القيادة العامة ثم عزله في 13 مايو 1971 ، وقد توفي في مثل هذا اليوم - 16 فبراير - من عام 2000 عن عمر يبلغ 85 عاما ..

إن أردت أن تفق على حقيقة معدن مصر ، فعليك العودة إلى الثلاث سنوات التي أعقت النكسة في عام 1967 ، في تلك السنوات الثلاث انصهر معدن شعب مصر وكان لهيبا أثار دهشة وشفقة الكثير من المراقبين ..
الأصدقاء قالوا : إن المصريين يبذلون العرق ، لكن الأمل يبدو بعيدا بسبب الفارق التسليحي واتساعه بينهم وبين إسرائيل ، الأعداء قالوا : إنها رقصة الديك المذبوح ، ولا أمل لمصر في استرداد ما فقدته ولو بعد عشرين عام (موسى ديان) ..

في اليوم السادس لأحداث النكسة ، بدأ العد التنازلي لإخراج مصر من الموت السريري الذي وضعتها فيه مجموعة من رفاق السوء لعبد الناصر ، كان ذلك في يوم الأحد 11 يونيو 1967 ..

كان اليومان السابقان (9 ، 10 يونيو) حافلين بالأحداث التي أنبأت بأن الجثة التي تنتظر الإعلان عن موتها في السرير قادرة على الوقوف وأخذ الثأر ، ففي أعقاب قيام عبد الناصر بإلقاء خطابه في مساء يوم الجمعة (9 يونيو) وإعلانه التنحي خرج الملايين من شعب مصر في أعقاب ذلك إلى الشارع رافضين أن يتنحي ..

زحف مئات الألوف سيرا على الأقدام من محافظات مصر القريبة والبعيدة إلى القاهرة قاصدين كوبري القبة حيث منزل عبد الناصر ، كانت القطارات تعمل على مدار الساعة بين القاهرة وبقية المحافظات تقدم خدماتها مجانية للمواطنين ، كان كل قطار يمتهل عن آخره بعدة آلاف من رجال مصر ولا مكان فيه إلا بالوقوف ، هذا داخل القطر ، أما فوهه فهناك سلاسل بشرية تجلس القرفصاء .. كانت سيارات المواطنين تفعل الشيء ذاته على طول الطريق الأسفلتي مع المواطنين الراغبين في النزول إلى القاهرة ..

على مدى يومين كاملين عاشت مصر بدون حكومة ، لم تتعرض مؤسسة واحدة للنهب ، حتى المحلات الصغيرة فتحت أبوابها لإطعام المتجهين إلى القاهرة مجانا ، كان الجميع يهدف إلى غاية واحدة وهي إثناء عبد الناصر عن قراره والعودة إل عمله للأخذ بالثأر ..

في مساء السبت (10 يونيو) وصلت أمواج البشر إلى كوبري القبة وحاصرت منزل عبد الناصر ، لم تكن هناك أي حراسة حول المنزل ، ففوات الحرس الجمهوري (الكتيبة 13 مشاة) كانت عن آخرها على الجبهة لمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه .. مئات الآلاف من رجال مصر حول المنزل يرددون في صوت واحد لا ينقطع " هنجارب " ، في وقت متأخر من الليل أعلن راديو القاهرة رجوع عبد الناصر عن قراره وتلييته لنداء الجماهير ..

كان هذا وببساطة شديدة يعنى أن ساعة العمل الثوري قد دقت في كل بيوت مصر تعلن مولد تاريخ جديد سيكتب بحروف من نور ونار ، فالمهمة مجهولة لكن العزائم تعد بإنجازها ، ها هي الحناجر مصممة في صوت واحد تهتف في شوارع مصر " هنحارب " ..

يقول الفريق أول محمد فوزي أن الرئيس عبد الناصر قد اتصل به في الواحدة من ظهر الأحد 11 يونيه ودار الحديث التالي بينهما :

الرئيس عبد الناصر : هل تتحمل يا فوزي مسؤولية قيادة القوات المسلحة في الوقت الحاضر ؟ ..

الفريق أول محمد فوزي : نعم ..

الرئيس عبد الناصر : سأعلن هذا القرار في الساعة الثانية والنصف في إذاعة القاهرة ، وعليك أن تؤمن البلد والقوات المسلحة، حتى ألتقي بك مرة أخرى في السابعة مساء ..

الفريق أول محمد فوزي : تمام يافندم ..

يقول محمود رياض (وزير الخارجية الأسبق) في مذكراته أن الرئيس عبد الناصر تحدث عن الساعات الأليمة التي كانت قبل وبعد

قرار التنحي في إحدى جلساته مع مجلس الوزراء وقال ما يلي : " لا يمكن أن أنسى الأيام الأولى التي مرت على بعد يونيو ، كنت

أشعر بمرارة كبيرة ، لا يمكن وصفها ، فلا شك أن ما حدث في يونيو قد أثر علينا جميعا نفسيا ومعنويا وماديا .. لقد تمنيت في تلك الأيام

لو أنى تنحيت بالفعل من السلطة وابتعدت عن موقع المسؤولية ، كان تقديري دائما أن الأيام التي سنواجهها صعبة للغاية في الداخل

والخارج ، لأن خصمنا قوى ولديه تنظيمات وجهاز للعمل ضدنا ولديه كل ما يحتاجه من أموال للقضاء علينا ، ففي يوم 11 يونيو عندما

عدلت عن قرار التنحي كنت في حالة سيئة جدا إلى درجة أنى أرسلت عائلتي خارج القاهرة ، ووضعت مسدسي إلى جانبي لاستخدامه في

آخر لحظة ، يومها سألت عن عدد الدبابات المتبقية في القاهرة ، فقالوا لي لم يبق إلا سبع دبابات ... كنت أتحدث مع الفريق فوزي كل ليلة

قبل أن أذهب للنوم ، ثم أطلبه في الساعة السادسة صباحا لأراجع معه موقف القوات المسلحة ، وموقف القيادات ، واسم القائد المسئول في

كل موقع ، ولو لم الجأ إلى هذا الأسلوب لكانت الأمور فلتت " ..

يقول الفريق أول محمد فوزي أن لقاء السابعة مساء تمحور في جملتين قالهما الرئيس عبد الناصر له وهما ما يلي :

الرئيس عبد الناصر : عليك أن تبني القوات المسلحة مرة أخرى على أسس علمية بهدف استرجاع الأرض المغتصبة ، وهي سيناء

والجولان والقدس والضفة الغربية وغزة ..

الفريق أول محمد فوزي : العدو لن يتركني أفعل ذلك يا ريس ..

الرئيس عبد الناصر : نعم ، هذا تقدير سليم ، فالعدو لن يتركك ، لذلك نأتى إلى الواجب الثاني المطالب أنت به ، وهو مواجهة العدو أثناء

بناء القوات المسلحة .. سأعطيك ثلاث سنوات ، أو ثلاث سنوات على الأكثر ..

الفريق أول محمد فوزي : نعم ..

الرئيس عبد الناصر : عليك أن تدرب الجيش ، وترفع كفاءته واستعداده بالطريقة التي تريدها ، أما التسليح ، فأنا الذي سأتي به من الاتحاد

السوفيتي ..

يلقى الفريق أول محمد فوزي على هذا اللقاء التاريخي الذي تم في في السابعة من مساء يوم 11 يونيه من عام 1967 بقوله ما يلي :

" أصبح أمامي واجبان ، وهما التصدي للعدو وبناء القوات المسلحة ، ومعهما شرطان وهما تحديد للتحرير بثلاث سنوات أو ثلاث سنوات

ونصف على الأكثر ، هنا الرئيس قيدي ، وما بقيتس أنا مبجح .. عبد الناصر نجح في إيهام السوفييت بأنهم شركاء في الهزيمة ، وقال

لهم : أنتم كنتم معنا ، فكيف تسمحون بحصول الهزيمة ، إذن أنتم شريك فيها وعليكم التعويض بالسلح الذي فقدناه وأحسن منه " ..

كان راديو القاهرة في نشرته المذاعة في الثانية والنصف قد أعلن عن قبول استقالة الفريق أول عبد المحسن مرتجى (قائد القوات البرية ،

والفريق أول صدقي محمود (قائد القوات الجوية) ، والفريق أول سليمان عزت (قائد القوات البحرية) ومعهم الكثير من كبار القادة ،

وفى نفس النشرة أعلن عن تعيين الفريق أول محمد فوزي كقائد عام للقوات المسلحة ..

كانت أولى الخطوات التي اتخذها الفريق أول محمد فوزي هي تطهير الجيش من قيادات الصف الثاني المسئولة عن الهزيمة ، بمعنى آخر

تطهير الجيش ممن تبقى فيه من جماعة عبد الحكيم عامر .. كان عبد الحكيم عامر قد تقدم باستقالته كقائد عام للقوات المسلحة أثناء إلقاء

عبد الناصر لخطاب التنحي عندما كان في طريقه لقريته أسطال بمحافظة المنيا ، وكذلك فعل شمس بدران في اليوم التالي (وزير الحربية

ومدير مكتبة السابق) ، لكن أذنبه بقوا كقادة للفرق والألوية والكتائب ..

لا بد هنا أن نذكر أن الفريق أول محمد فوزي كان مكروها على الدوام من عبد الحكيم عامر وجماعته داخل القوات المسلحة ، فشخصية هذا العملاق لم تكن لتسمح له بأن يتقرب لهم أو يتخذ منهم أصدقاء ، كيف وقد انغمسوا في الملذات وحولوا الجيش إلى شلل وجماعات ، فقد كانت هناك جماعة عبد الحكيم عامر ويترأسها شمس بدران ، وكان هناك جماعة لشمس بدران منفصلة عن الجماعة الأولى ، ثم اتضح أن هناك جماعة ثالثة يرأسها ضابط من الصاعقة يدعى أحمد عبد الله تعمل لحسابها الخاص أيضا ضد الجماعتين السابقتين ..

صحيح أن عبد الناصر كان رئيسا لمصر وقائدا أعلى للقوات المسلحة ، لكن ذلك كان ذلك على الورق فقط وأمام الرأي العام ، فشركاء الثورة التي صنعت منه رئيسا أخذوا منه صلاحياته العسكرية كقائد أعلى للقوات المسلحة ، ونقصد بذلك عبد الحكيم عامر ، فالثابت أنه قال لعبد الناصر في أعقاب عودته المهينة من سوريا في أعقاب الحركة الانفصالية التي وقعت في 28 سبتمبر 1961 ما يلي :

" لقد ساعدتك في التخلص من الآخرين ، والآن تريد التخلص مني ، إنك موجود علي مقعدك هذا في حمايتي ، ولأنني أريدك أن تكون الرئيس ، لا لأنك الرئيس ، والآن تعلم أنني أستطيع التخلص منك " ، فمن هم هؤلاء الآخرين الذين ذكرهم عبد الحكيم عامر في تهديده لعبد الناصر ؟ ، إنهم الإخوان المسلمون ..

(للوقوف على بداية تجريد الرئيس عبد الناصر من الملف الأمني – بشقيه الشرطي والعسكري – وقصر الملف المدني فقط له ، نلفت النظر إلى مقال لنا بعنوان " حديث من القلب إلى السلفيين والإخوان المسلمين " لكاتب المقال على مدونته) ..

في الملف المدني أبدع عبد الناصر إبداعا قل نظيره ، ومن النادر لي كباحث أن أجد في أي الثورات الموازية رجلا يحقق تلك النهضة ، بينما زملاؤه ينغمسون فيما لذ وطاب من شهوات الدنيا ، حلالها وحرامها ..

كانت الستائر السوداء المضروبة على شبابيك منزله تعلن بصمت أن خلية نحل وراء تلك الشبابيك تصل الليل بالنهار .. كان زاهدا وصامتا بالرغم من مجهوداته الغير طبيعية ، فكان يقدم فوق ما يستطيع من خدمات إلى فقراء مصر ، أنشأ آلاف المصانع التي غيرت وجه مصر ، أقام البنوك القومية ، أنشأ القطاع العام الذي كان سندا لفقراء مصر (كان عددهم 98% من السكان) ، أنشأ آلاف المدارس التي أحدثت نقلة نوعية في عقل المصريين ، زادت الفترة العمرية للمواطن بسبب الارتفاع الحاد في بناء المستشفيات ، أقام السد العالي الذي نقل الزراعة في مصر إلى عصر جديد

كان عبد الحكيم عامر والموالون له قد حرصوا على إبقاء محمد فوزي داخل أسوار الكلية الحربية ليمارس عملا أكاديميا وبذلك يكون بعيدا عن أي تشكيل عسكري ، كانوا يخشون أن يستعين به عبد الناصر في تصحيح مسار الثورة ، هكذا بقي الضابط محمد فوزي هناك وتخرج على يديه خيرة ضباط مصر ، فكان مدرسا للمدفعية (تخصص في المدفعية الصاروخية وهي ما تسمى اليوم بالدفاع الجوي) ، وكان أستاذا وكبير للمعلمين في فصولها الدراسية ثم مديرا للكلية الحربية برتبة فريق ..

لم يكن الضابط المحترف محمد فوزي راغبا في الصدام مع عبد الحكيم عامر وجماعته ، وكان يؤدي عمله على أكمل وجه ، فهو سليل عائلة عسكرية عرف عنها الانضباط والالتزام بالواجب الوطني ، فأبوه كان قائدا لسلاح المدفعية المصرية ، وجده كان ياورا لخديو مصر ، وقد زاد تاريخ عائلته من مخاوف عبد الحكيم وجماعته ، وهو كان يعلم ذلك عنهم ، وكان يدرك أن عبد الناصر محاصر منهم ..

استغل عبد الناصر حشد القوات الغير منظم الذي قام به عبد الحكيم عامر للقوات المصرية في سيناء في مايو 1967 وطلب منه نقل الفريق محمد فوزي من إدارة الكلية الحربية كي يتولى رئاسة أركان القوات المسلحة برتبة فريق أول ، قبل عبد الحكيم عامر طلب عبد الناصر على مضض بشرط وهو أن تنحصر مهمة الفريق أول محمد فوزي في تنفيذ أوامر عبد الحكيم وألا يكون صانعا لها ..

في صباح يوم الأحد 11 يونيو تولى عبد الناصر ولأول مرة منذ قيام انقلاب 1952 مسئولية الملفين ، الأمني والمدني ، كان التفويض واضحا لأنه – كما أسلفنا - جاء من الملايين التي احتشدت في كل أرجاء مصر وحاصر بعضها منزله وأجبرته على العودة إلى عمله ..

الفريق أول محمد فوزي بالفريق عبد المنعم رياض الذي كان رئيساً لأركان الجيوش العربية ويمارس عمله بالأردن كي يعود إلى القاهرة فوراً ..

لم يتوقع أسوأ أعداء مصر بأن تكون ردة فعل قيادة القوات المسلحة المصرية بالصورة التي كانت عليها في يوم 5 يونيو ، فما أن جاء عصر اليوم التالي – الثلاثاء 6 يونيو – حتى أصدر عبد الحكيم عامر (القائد العام للقوات المسلحة) أمراً بجميع القوات في سيناء بالانسحاب ، هكذا دون أن يتشاور مع أحد ..

كانت المعارك الحربية تجرى على أشدها في فيتنام بين الأمريكيين (الذين يملكون السيطرة الجوية) وبين وقوات فيتنام الشمالية (الذين يملكون قوات برية غير نظامية) ، وكان هذا يعنى ببساطة أن التقدير الذي بني عليه عبد الحكيم عامر قراره كان في الأساس يعترضه الخطأ ..

كان عبد الحكيم عامر يتصرف وكأن لؤثة عقلية أصابته بعد الضربة القاسمة الحاسمة التي تلقتها القوات الجوية المصرية ، وظن أن طائرات العدو ستتجه في الأيام التالية إلى اصطيد القوات البرية المصرية في الصحراء المكشوفة ، ليته كان أمراً منظماً بالانسحاب ، بل كان تدافعا بين الوحدات القتالية للوصول إلى الضفة الغربية للقناة ..

إن الخسائر التي تلقتها القوات المصرية المنسحبة (6 يونيو / 10 يونيو) كانت أعلى بكثير من تلك التي تلقتها في اليوم الأول للقتال ، كلها كانت عرضة للاصطياد من الجو أثناء انسحابها بسبب التدافع جوف الصحراء ، إنه أشبه بما يحدث حتى اليوم في شوارع القاهرة في فترة الذروة أمام رؤوس الكباري والميادين ..

جاء على لسان قادة إسرائيل العسكريين بعد ذلك بسنوات أنهم لم يكونوا يصدقون ما يحدث ، الجيش المصري أشبه برجل فقد عقله ، جنوده المشاة يهرولون في رمال الصحراء ناحية الغرب ، ومدركاته تسد الطرق وكأنها تتطاحن فيما بينها للنجاة ..

أنشأ الفريق أول محمد فوزي على الفور في مقر قيادة القوات المسلحة في ظهر يوم الأحد 11 يونيو خلية لإدارة الأزمة ، وصل الفريق عبد المنعم رياض قادماً من الأردن وصدر قرار كي يتولى رئاسة أركان القوات المسلحة ، ليكون العضو الثاني في تلك الخلية ..

في الحلقة القادمة سواصل الحديث – إن شاء الله – عن الفريق أول محمد فوزي ، فإلى اللقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري – أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com